# الباب الثاني

## صناعة الإرهاب

**الفصل الأول : التطرف والإرهاب: النشأة والتطور**

**الفصل الثاني : القواسم المشتركة بين العولمة والإرهاب**

**الفصل الثالث : التفسير العلمي لظاهرة التطرف والإرهاب**

# الفصل الأول

## التطرف والإرهاب : النشأة والتطور

- **التطرف مصطلح يعني الشرود والابتعاد عن الوسط والمنتصف، وهو ظاهرة اجتماعية نفسية مركبة تشير إلى السلوك الذي تتبناه جماعات فكرية أيدولوجية سواء كانت وطنية / دينية متشددة، وهو يعني الخروج عن التيار العام أو الوسطي، وللتطرف مظاهره الفكرية والسلوكية، وله آثار وتداعيات علي المجتمع المحلي بالضرورة وعلي الإقليم والعالم بأسره في ظل العولمة وسرعة تداول المعلومات، فالتطرف هو المادة الخام التي يمتح منها الإرهاب بأشكاله وألوانه المتعددة.**

وللنظر في العلاقة بين التطرف والإرهاب، تشير الدراسات المتخصصة في مجال الإرهاب([74]) أن عدد المنظمات المتطرفة فكريا ودينيا يقترب من حوالي 2500 منظمة متطرفة، وحوالي 390 تنظيم إرهابي موزعة علي 60 دولة في العالم، هذا بالإضافة إلى شبكات دعم الإرهاب المرتبطة بالجريمة المنظمة وتجارة السلاح والمخدرات.

[74] لجنة مكافحة الإرهاب التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي أنشئت في 18 ديسمبر عام 1972

ويقدر عدد تلك التنظيمات في أوروبا وحدها بحوالي 116 منظمة إرهابية، وفي عام 1995 وقعت أكثر من 91 عملية إرهابية.

والتعريف البسيط للتطرف حسب شاكر عبد الحميد([75]) هو : " مجموعة من المعتقدات والاتجاهات والمشاعر والأفعال والاستراتيجيات ذات الطبيعة البعيدة عن الحد المعتدل أو العادي "، والفرضية النفسية المغذية للتطرف تنشأ بداية من خلال تقسيم العالم إلى الذات والآخر، وقد يتوسع مفهوم الآخر إلى حدود المختلف في الرأي، وتتجلي مظاهر التطرف في حالة وجود صراع بين الذات والآخر في بيئة تحض علي التصلب والتعصب والكراهية وانعدام اليقين.

ويضع عالم الاجتماع الفرنسي " جيرالد برونز " يده–جزئيا– على أهم ثغرة من الثغرات التي يتسلل منها التطرف إلى العقل البشري، حيث يقر بأننا نعيش في مجتمعات **اعتقاد**، لأنه بالرغم من التقدم المعرفي الهائل في عالم اليوم، فإن القدرات المعرفية للفرد تظل محدودة بحدود يستحيل تجاوزها، ولا تخرج علاقة الإنسان بالعالم من حوله عن طريقين هما: المعرفة والاعتقاد.

---

[75] شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 17

وهذا الحد المفروض من المعرفة ذو طبيعة ثلاثية مزدوجة محكومة بالمحدودية ، أولها : محدودية العقل والوعي، وثانيها : محدودية الثقافة، وثالثها : محدودية المعرفة.

حيث ينحصر الوعي في مساحة محدودة محكومة بحاضر أبدي، فضلا عن أنه يفسر المعلومات على أساس تمثلات ثقافية كما أن قدرتنا على معالجة المعلومات ليست نهائية فضلا عن تعقيداتها، ولأن هذه السمات الثلاث من خصائص الفكر الإنساني، فإن " مجتمعاتنا ستظل مجتمعات اعتقاد بغض النظر عن تطور المعرفة الإنسانية([76]).

ولذلك فإن المعتقدات التي يطلق عليها مصدر الأفكار المتطرفة ستظل قائمة في عالمنا المعاصر، والحقيقة أن الأفراد والجماعات المتطرفة ليسوا وحوشا غير عقلانية، بل هم منطقيون للغاية ماداموا محكومين بحدود المعرفة واتساع وتنوع ما يراد إدراكه، وهذا يعني محدودية المعرفة مقارنة باتساع وشمولية ما ينبغي إدراكه، وتعد المحدودية هي الكهف الذي

[76] ينظر :جيرالد برونر، الفكر المتطرف-كيف يصبح الناس العاديون متعصبين ( مترجم نص ومحتوى ص 88 ، 96 )

يربض فيه التطرف متأهبا للانطلاق والعبث بالأرواح والممتلكات حسب الظروف المواتية.

ومن الجدير بالذكر التنويه إلى أن مفاهيم التطرف والعنف نشأت في العقل البشري كظاهرة فردية منعزلة وبعيدة كل البعد عن أي إطار تنظيمي أو سياسي في المجتمعات البدائية قبل أن تصبح أسلوب عمل جماعي منظم تتحرك قواعده وجنوده على الأرض وتتحول إلى ظاهرة عابرة للحدود مع انتشار ثقافة العولمة التي سيطرت على وسائل التواصل الاجتماعي والميديا الحديثة، حيث انصهرت جدران الحدود العازلة بينها بفعل العولمة وأدواتها الاقتصادية والإعلامية والثقافية الجبارة، ويرتبط التصلب الفكري بالتوتر حيث ينشأ مع الإحساس بالتهديد نوعا من الاختلال الشديد في التوازن النفسي والبيولوجي والاجتماعي للفرد/ الجماعة، ويصحبها ازدياد التوترات الاجتماعية فتضيق الحدود بين الأفكار ويتم التركيز علي فكرة واحدة تهيمن علي الفرد/ الجماعة، وبتراجع المرونة يتصدر التصلب السلوكي الذي يعطل الفروق والاختلاف بين أطراف التفاعل ويعزز النظرة الأحادية مهما كانت خاطئة، مما يثير الصراعات والاستجابات

المتطرفة([77])، وهذه الأفكار تكون مصدرا تتغذي عليه أفكار العنف وتنتقل من خلال خاصية الأواني المستطرقة.

وفي دراسات أخرى تبين للدكتور " مصطفي سويف" زيادة الاستجابات المتطرفة كلما ازداد شعور الفرد أو الجماعة بالتهميش والنفور من الغموض، إذ يؤدي التوتر إلى النفور من الغموض، وقد أشارت أبحاث عديدة إلى ارتباط النفور من الغموض بالتصلب والجمود ومقاومة التغيير([78]).

وفي ظل انعدام اليقين وتراجع الثقة بالنفس والتسامح تتجاوز الأفكار الحادة كل الموانع والحواجز بسهولة خاصة في الدول ذات النظم التعليمية المنغلقة والأنظمة الاستبدادية القمعية، أما الدول المتقدمة فقد أعدت العدة واستقبلت الجوانب الإيجابية من العولمة وعظمت من شأنها للإفادة منها في أجواء تسيطر فيها قيم التسامح والحرية والإبداع وقبول الآخر، وتلافت تلك الدول المخاطر الأساسية والجانبية لظاهرة العولمة الليبرالية كحتمية تاريخية مع التصلب والتعصب والتحجر فلم يجد الطرف الأضعف سوى العنف والإرهاب سلاحا لإحداث توازن بين

---

[77] ينظر : شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 83

[78] ينظر : شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 83

الجنوب والشرق المتراجع من جهة ومناطق الثراء الفاحش شمالا وغربا من جهة أخري.

وتتجلي مشكلة التطرف في الطبيعة المنغلقة والثابتة وغير المتسامحة مع الاتجاهات المختلفة للشخصية المتطرفة، ويرصد " شاكر عبد الحميد" العلاقة القائمة بين التطرف والعنف في قوله: "هناك علاقة وثيقة بين التطرف والعنف؛ حيث يستخدم المتطرفون العنف المادي والرمزي أيضًا، على الرغم من وجود بعض الفروق بينهما في نوعية الوسائل العنيفة التي يستخدمونها، وكذلك في مستوى العنف الذين يفضلون استخدامه، وكذلك الأهداف التي يوجهون أفعالهم المتطرفة نحوها؛ بدايةً من محاولة تدمير البنية التحتية في بعض البلدان، أو المدن، إلى مهاجمة رجال الشرطة والجيش، واغتيال المثقفين أو القادة السياسيين، وكذلك مهاجمة المدنيين من الكبار والأطفال والنساء، وقد يكون شكل العنف المستخدم مباشرًا أو متفرقًا( كما في حالة التفجيرات المفخخة أو الأحزمة الانتحارية)، هذا بينما قد تستخدم الجماعات المهيمنة أشكال العنف المرتبطة

بالمؤسسات( الاستخدام المستتر للتعذيب في أقسام الشرطة مثلاً أو الاستخدام المفرط للقوة مع المعارضين ...إلخ.([79]).

ويختلف علماء النفس حول تحليل شخصية الإرهابي، حيث يري فريق منهم أن الإرهابي يعاني من مشاكل نفسية عميقة، فهو سيكوبائي([80]) / عدائي / مختل / جامح، ويذهب فريق آخر من الباحثين إلى أنه لا توجد سمات خاصة بالإرهابيين، بل الأكثر أهمية هو التركيز على المنطق السيكولوجي الذي يبررون به أفعالهم من الناحية النفسية، فالسلوكيات العنيفة مبررة نفسيا عند الإرهابيين، ويري فريق ثالث أن لا وجود لما يسمي بالشخصية الإرهابية، ولكن هناك ميول واستعدادات شخصية للعدوان تغذيها عملية التربية بالمشاركة مع الظروف الاجتماعية والأسرية وجماعات الأقران، فالمسألة متعلقة بوجود استعدادات ودوافع وبيئة حاضنة تساعد علي نمو الظاهرة الإرهابية في العالم، ويري هذا الفريق أن محاولة إلصاق سمات مرضية نفسية بهؤلاء هو – في الواقع محاولة للهروب من الأسئلة الموضوعية وهو يبعدنا عن الفهم الصحيح للظاهرة بشكل أكثر دقة، وذلك بدليل وجود

---

[79] - ينظر : المصدر السابق ص 12

[80] - السيكوبائي شخص متبلد المشاعر ومتصلب التفكير ويتمتع بسلوك عدائي ضد المجتمع.

سلوك القتل الوحشي العنيف من غير هذه الجماعات المتطرفة مثل حادث القتل في الملهي الليلي الذي وقع في يونيو 2016 وحوادث العنف والقتل التي حدثت في المدارس الأمريكية ([81]) وغيرها.

وهناك آراء أخري متفرقة منها من نظر إلى التطرف باعتباره مرضا بثولوجيا يستمد غذاءه من الرغبة في تحطيم الحياة، وهو مرض قابل للشفاء، بينما نظر آخرون إلي التطرف كنوع من التنفيس عن المشاعر المكبوتة والشعور بالمهانة والإذلال والاستياء والغضب وفقدان الأمل، مما يدفع هؤلاء للالتحاق بالجماعات المتطرفة لحل الصراع بهذه الطرق الدموية([82]).

وتشير بعض الدراسات إلى أن توفر قدر معتبر من الاعتبار للذات قد يكون سببا في ارتكاب عمليات العنف والاعتداء عند الشعور بمواجهة التهديد والخطر، وفي دراسة لبحث دوافع الالتحاق بالمنظمات الإرهابية القاعدة أنموذجا ( 2007 )، استخلص الباحثان وجود مجموعة دوافع اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية وشخصية تعمل منفردة أو تتكامل معا، ومنها

---

[81] ينظر : شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 16

[82] ينظر : المرجع السابق ص 17

الشعور بالملل الشديد واليأس والإحباط وفقدان الأمل في الحياة وغياب الآباء والقدوة وتفاقم المشكلات العائلية والطلاق وتأثير الرفاق والأقران وعدم الشعور بالتوافق وانخفاض الدخل والرغبة في الشهرة والمكانة أو الانتقام، والجمود العقائدي والتصلب العقلي وغيرها.

وقد يتساءل المرء : وهل التطرف وما ينتج عنه من عنف وإرهاب محلي ودولي منتج حديث منبت الصلة عن أصوله التاريخية ؟ وهل توجد علاقة بين ظواهر العنف العابر للدول والعنف المحلي أو الإقليمي ؟ وما العلاقة بين التطرف والإرهاب والاستبداد ؟

تثبت الدراسات الحديثة أن الإرهاب الدولي أحد أهم النتائج الطبيعية لظاهرة العولمة وثورة الاتصالات وتقاطعها مع المظالم والإخفاقات الاقتصادية الداخلية منها والإقليمية التي تحملها جينات النظم الاستبدادية، وأنه ليس ثمة فواصل كبري بين الإرهاب الإقليمي والدولي، فالإرهاب ثمرة بذرتها شرور البشر ومطامعهم، ويعود تاريخ أول حادثة قتل إلى فجر البشرية الأول، وقتل قابيل لأخيه هابيل، ثم توسعت وانتشرت بفضل عوامل وظروف متعددة.

بالفعل لقد بدأ الإرهاب منذ فجر التاريخ، ولكن بدياته كانت بدائية وبسيطة وفردية ...بسيطة بساطة المجتمعات الإنسانية التي كانت نواتها الأولى أفراد الأسرة، والقبيلة والعشيرة والتجمعات المحدودة.

وقد نشأت هذه الظاهرة الفردية في ظل الإحساس بالظلم أو الغبن، أو الرغبة في الاستئثار بالغنائم والثروات والامتيازات، فبدأت بالغزو من أجل الكلأ ثم نمت وتطورت بفضل ما توفر لها من وسائل العنف اليدوية في بداية الأمر، ثم تطورت أيضا بتطور وسائل كل عصر بداية من عصر الإقطاع الزراعي مرورا بعصر البخار حتى وصل إلى عصر الصناعة صعودا إلى مستوى استخدام التكنولوجيا وتكنولوجيا المعلومات مؤخرا. والحقيقة أنه لا يمكن إغفال أهمية العنصر الاقتصادي في نشأة الظاهرة وتطورها، ويمكننا معالجة مرحلة النشأة خارجيا ثم إقليميا وداخليا– باختصار– على النحو الموضح فيما يلي.

## أ– نشأة التطرف والعنف دوليا

يرجع رصد ظاهرة العنف في العالم المعاصر إلى الحقبة الموازية للعقد الاجتماعي، ولذلك حاول " توماس هوبز " إسناد أسبابها

إلى أنانية البشر وميلهم للشر والغدر والاستئثار، وفي مقابل هذا الرأي أسند " جان جاك روسو" الظاهرة إلى المجتمع الشرير الذي يضم إلى جانبهم مجتمع الأخيار([83]).

ويرى الدكتور " على ليلة " أنه ثمة جديد في أحداث العنف في العالم المعاصر، وهذا الجديد يمكن إدراكه من خلال عدة محاور: يدور المحور الأول حول واقع قديم له أسبابه المرصودة في بنية المجتمع المحلي أو القومي، وعنف جديد ترصد أسبابه في بنية النظام العالمي مهما بدا للمراقب ما اكتسبه العنف الجديد من طاقة محلية أو قومية، وتعتبر نقطة الصفر لتلك التحولات – في مصر مثلا– بداية من عام 1970م. والمحور الثاني يدور حول تغيير طبيعة العنف وبمحاولات حثيثة من الغرب لخلط أوراق العنف بالإرهاب وإلغاء طابع المقاومة للشعوب المحتلة، وظهور نوع من العنف الجديد هو العنف المعنوي ذو الطبيعة القهرية([84]).

ويعرف الانحراف في مستوياته الفردية بأنه سلوك مخالف للقاعدة الاجتماعية ( الشرعية ) وهو سلوك يخضع في العادة للعقاب

---

[83] - ينظر : علي ليلة ، تقاطعات العنف والإرهاب في زمن العولمة ص 9

[84] - ينظر : المرجع السابق ص 11-12

الذي يعيد صاحبه إلى جادة الصواب، أما العنف فهو ظاهرة اجتماعية يشارك في تفاعلاتها مجموعة من البشر، وتستهدف ظاهرة العنف التخلص من الشرعية لفرض شرعية جديدة، ويفرق بين الإنحراف والعنف باعتبارهما نوعا من السلوك الاجتماعي الذي يخرج فيه الفرد أو الجماعة على النظام([85]).

ويؤكد كثير من الباحثين على أن التطرف يوسم به الفكر الذي يؤدي عمليا وسلوكيا إلى العنف والإرهاب أي أنه مقدمة وبداية، وقد تبلور مفهوم الإرهاب بصورة جلية في أعقاب الثورة الفرنسية بالممارسات القمعية الجماعية التي ارتكبتها حكومة الجمهورية الأولى التي قادتها حركة اليعاقبة الجدد في الفترة من 8/10/ 1792 إلى 27/ 2/1794([86]) لتصفية ما يتصور أنهم أعداء الثورة، إذ تعتبر الثورة الفرنسية نقطة التحول الرئيسية من سلطة الكنيسة إلى سلطة الدولة العلمانية المناوئة لاستخدام الدين لتعظيم سلطة الكنيسة حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية تمثل تلك السلطة في هذه الآونة، وكانت الأيدلوجية اليعقوبية التي يتبناها قادة الحركة لا تقوم على أن حقيقة العدل والمساواة واجبة لكافة

---

[85] - ينظر : علي ليلة ، تقاطعات العنف والإرهاب في زمن العولمة ص 100

[86] - ينظر : صباح كرم، أفضل الوسائل والأساليب لمكافحة الإرهاب ص 8 بحث قدم لمجلس وزراء الداخلية العرب في تونس عام 1986.

الفرنسيين، بل قامت على أن الحقيقة التي يمتلكها قادة الحركة هي الحقيقة المطلقة التي يتحتم تحقيقها حتى لا تنهار الثورة([87]).

فهل يذكرنا هذا بشيء مما تراه اليوم في بعض البلاد العربية من استخدام السلطة الدينية أو السياسية أو العسكرية في امتلاك الحقيقة المطلقة حصريا ؟ وهل أصبح الإرهاب ركنا أساسيا من أركان النظام العام باعتماد المبدأ المكيافيلي كقاعدة ثورية " إن الغاية تبرر الوسيلة " ؟.

إن تحول الحقيقة النسبية إلى حقيقة مطلقة- فيما أظن- هي أم الكوارث الإنسانية التي تسربت إلى عقول أصحاب الأيدولوجيات الدينية والاقتصادية والعسكرية في العصر الحديث، فجماعات الإسلام السياسي والأوليجاركا العسكرية والقبلية ومن حذا حذوهم في المنطقة العربية تشبعت بأيدلوجية التطهر والسمو وامتلاك الحقيقة المطلقة كانوا أس البلاء في تخلف مجتمعاتهم، لأن الإنسان الذي يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة شخص شديد الخطورة لكونه مستكف بنفسه ويرفض الحوار مع الآخرين

[87] - ينظر : محمد مؤنس محب، الإرهاب في القانون الجنائي على المستويين الوطني والدولي ص 21

ويرفض أفكارهم وعقائدهم كذلك ولا يقبل فضيلة التسامح كسجية إنسانية، ويصبح العمل الإرهابي البديل الوحيد لتحقيق العدالة القاطعة الحاسمة من وجهة نظر هؤلاء، ولا تقل الخطورة الناجمة عن هذا التفكير عن خطورة جماعات المافيا الاقتصادية التي تدين بالليبرالية الشمولية المتوحشة، أو الأوليجاركا العسكرية التي لا تختلف كثيرا في معتقداتها الصماء بامتلاك الحقيقة الوطنية المطلقة والمبرأة من العيوب والخلل، وفي سبيل ذلك تستحوذ على المال والسلطة بالقوة أحيانا وبالخديعة أحيانا أخرى، كما هو الحال في أعقاب الثورة البلشفية في روسيا وتكرر بعد ذلك في نماذج أخرى جنوبا وشرقا.

وبعد انتهاء هذه المرحلة وفي أعقاب مرحلة "الأيدولوجية اليعقوبية " ظهرت مرحلة جديدة من الإرهاب في أوربا الغربية أطلق عليها الفوضوية Anarchism([88]) أو الأناركية للتعبير عن تمرد الفرد على السلطة كرد فعل على تلك السلطة أيا كانت : كنسية..علمانية..جماعية أو فردية فالكل سواء.

هذا كما أسهمت الثورة الروسية جنبا إلى جنب مع الثورة الفرنسية في وضع أساس الحركات الإرهابية داخل ذاكرة الأنظمة المدنية

[88] - تعني انعدام القيادة وانعدام الخضوع للسلطة وعدم قبول التوجيه

/ القومية الحديثة، وارتبطت تلك المرحلة بظهور ما يسمى بالعدمية Nihilism التي لم تكن نظاما فلسفيا يقوم على فكرة العدم والفناء، بل يقصد به التحرر الذاتي والقضاء التام على النظام القائم بحثا عن العدالة المطلقة([89]).

وقد اختلف مفهوم الإرهاب في الأيدلوجية الشيوعية عنه في ظل الأيدولوجية اليعقوبية والفوضوية، حيث انتقد لينين الفوضوية " الأناركية " التي رأى أنها مذهب فردي جاء نتيجة لليأس في تاريخ أوربا الحديث، وقد فشلت تلك الأيدولوجية فشلا كاملا. وظهرت في روسيا جماعات إرهابية عملت ضد الثورة الروسية وقامت باغتيال القادة من أهمها " جماعة المائة السوداء".

ولم يكن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية بأفضل من سابقيه شرقا وغربا إذ استخدم العنف في إرهاب المواطنين السود والمتعاطفين معهم بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية عام 1865 على يد جماعة تسمى " كوكلوكس كلان "([90]).

ويرى روجيه جارودي " أن العنف الذي تمارسه الولايات المتحدة في سياساتها الخارجية في أنحاء المعمورة إنما هو امتداد لما

---

[89] - ينظر محمد مؤنس محب، الإرهاب في القانون الجنائي على المستويين الوطني والدولي ص 45-46

[90] - ينظر : الموسوعة العربية العالمية 559/1

يمارس داخليا في الولايات المتحدة منذ عام 1898م عندما أكد عضو مجلس الشيوخ الأمريكي ألبرت بفريدج أنه " يجب أن تصمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكي والعلم الأمريكي والنظام الأمريكي والحضارة الأمريكية إلى هذه المناطق والطرق التجارية في العالم، وقد يكون ذلك بصورة دموية "([91]).

ألا يؤكد هذا على دموية النظام الأمريكي منذ نشأته على تلك الأرض البكر التي قطنها الهنود الحمر قبل اكتشافها على يد كرستوفر كلومبوس قبل إبادة غالبية سكانها الأصليين ؟

يؤكد الواقع المعيش أن الإرهاب –سواء كان دوليا أو محليا– يعد أهم أساليب جماعات العنف السياسي التي تنطلق من منظور ديني أو وطني تعبوي وفاشي للوصول إلى أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية، حيث يكون الإرهاب هو الوسيلة التي تلجأ إليها تلك الجماعات لانتصار آرائها الأحادية وفرض سيطرتها على المجتمعات أو الدول المستهدفة.

والخلاصة التي يمكن استنتاجها : إن الإرهاب الفردي الفوضوي كان مقدمة وتمهيدا لظهور الإرهاب الجماعي المنظم، وأن الوسائل البدائية المستخدمة في العمليات الإرهابية تطورت

[91] - روجيه جارودي، الإرهاب الغربي ص 36

بتطور المجتمعات من عصر الإقطاع إلى عصر النهضة والميكنة ثم عصر التكنولوجيا ثم التكنولوجيا الفائقة وصولا إلى عصر المعلوماتية والتراكم المعرفي، وأن النظم الغربية سبق لها مارست الإرهاب المنظم ضد مناوئيها في عصور ما قبل النهضة.

## ب- التطرف والإرهاب إقيميا وداخليا

هل تعد ظاهرة التطرف والعنف ظاهرة جديدة أم مستحدثة في المنطقة العربية ؟ وما هو السبيل لمواجهة موجات العنف والإرهاب ؟

يحاول النظام الأمريكي والغرب-منذ وقت غير قصير- إلصاق ظاهرة التطرف والعنف بالعرب عامة وأتباع الديانة الإسلامية بصفة خاصة وكأنه ظاهرة مستحدثة من العدم، ولم تعرفها الشعوب الأخري في الشرق والغرب.

وقد نوه إلى ذلك الدكتور جلال أمين وغيره([92])، فمن المؤكد وفق الدراسات التاريخية أن جذور التطرف والعنف إنسانية عامة ولا يستثنى منها – بالطبع-تاريخ العالم الإسلامي، فهي ظاهرة

[92] - ينظر : جلال أمين، عصر التشهير بالعرب والمسلمين ص 8 وما بعدها :جون اسبوزيتو، الاختلاف على الدولة لا على الإسلام بحث في العلمانية والممانعة الإسلامية ص 48

إنسانية قديمة رصدت في التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده كما رصدت في الشرق والغرب كما أسلفنا.

ويرى البعض أنه يمكن التأريخ لاستخدام الإسلام كمطية للوصول إلى السلطة بداية بعدما دب الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) وعثمان بن عفان ( رضي الله عنهما )، ثم بين علي بن أب طالب ومعاوية ابن أبي سفيان، إذ كان الخلاف على السلطة في الحالتين جليا، حيث لم يجد كل فريق من الفريقين وسيلة لإقناع أنصاره بعدالة قضيته والتضحية بالروح من أجلها إلا بالتشدد في الدين والمغالاة فيه رغم تحذيرات القرآن الكريم المباشرة لأهل الكتاب من الغلو والإسراف في الأمر حتى لو كان هذا غلوا في الدين، قال تعالى ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق... ) النساء: ١٧١.

لقد نشأ الإرهاب في المنطقة العربية كظاهرة اجتماعية فردية ثم تحولت إلى العمل الجماعي المنظم مع تطور وسائل الردع العام والخاص في النظم القانونية الوضعية، حيث قامت فرق الجماعات الباطنية المختلفة([93]) باتخاذ العمل الإرهابي طريقا

[93] - الباطنية هي جماعة ادعت التشيع أمثال الخطابية وغيرها وكانت بداية لثورات وقلاقل وفتن لحقت بالعالم الإسلامي وأهمها: ثورة القرامطة وما أحدثته من خراب وشقت صفوف المسلمين ، وكانوا أكبر عون لأعداء البلاد الإسلامية، وكان منهم فرقة الحشاشين التي

للوصول للسلطة في الجزيرة العربية والشام والعراق، حيث امتدت أعمالها الإرهابية التي انطلقت من الأهواز مرورا بالكوفة والشام واليمن ووصولا إلى ساحل الشمال الإفريقي، وقد استهدفت أعمالهم الإرهابية الأرواح والأموال وهتك الأعراض، واستباحة المحرمات، وحاولوا أكثر من مرة اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي([94]).

ويرى " سعيد العلوي " أن ظاهرة الإسلام السياسي لا تشكل تواصلا مع تراث الأمة الإسلامية، ولا تعبر عن استمرارية تاريخية، بل هي مرتبطة بالحياة العربية الإسلامية المعاصرة، التي عرف فيها العرب بناء الدولة والتغيير الاجتماعي الجديد، وفي رأيه، يعد جمال الدين الأفغاني( 1838–1897 ) هو الأب الروحي لهذه الظاهرة التي امتدت عبر تلاميذ الأفغاني وهم الشيخ محمد عبده ( 1849–1905 ) ومحمد رشيد رضا ( 1865–1935 ) ورفاقهما([95]) هم الذين وضعوا نواة التيارات

---

وضعت نظام الفدائيين الذين اغتالوا كل من يخالفهم واستطاعوا السيطرة على قلعة الموت التي تقع جنوب بحر قزوين وأسسوا بها دولة الاسماعيليين التي عرفت بأسماء منها الحشاشين والباطنية ... و للمزيد ينظر : د/ محمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 73، 151

[94] - ينظر : محمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 447

[95] - ينظر : سعيد بنسعيد العلوي، الإسلام السياسي ظاهرة حديثة- بحث في محاورات النهضة والحداثة من علي العميم، كتاب العلمانية والممانعة الإسلامية ص39-40

الإسلامية المعاصرة ( التنويرية- التجديدية-المسلحة ) حسب روبرت دريفوس في كتابه " لعبة الشيطان " الذي ذهب فيه إلى أن الأفغاني ألهم محمد عبده، ومحمد عبده ألهم محمد رشيد رضا، والأخير ألهم حسن البنا( 1906-1949 ) مؤسس جماعة إخوان المسلمين([96]).

ولكني أختلف مع هذا الطرح في كثير من جزئياته، وأرى أن سيرة الأفغاني وأفكاره التأسيسة تبعث على الريبة ويحيط بها الغموض؛ لأن الرجل لم يكن أفغانيا ولا سنيا ولا حداثيا ولا كان قوميا كما يروج البعض، فالرجل كان شيعيا من إيران وانصبت دعوته على العودة إلى الماضي والانفتاح عليه أي أنه كان يروج للسلفية، وهو مايقرأ نصا في " العروة الوثقى "، فبعد أن تحدث الأفغاني عن المسلمين وما نالوه في نشأة دينهم يقول " .. ظهر فيهم أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه، وخلطوا بأصوله ما ليس منها، فانتشرت بينهم قواعد الجبر... وحصل النقص في التعليم والتقصير في إرشاد الكافة إلى أصول دينهم الحقة ومبانيه الثابتة... ولا يزال وميض برقه يلوح في أفئدتهم بين تلك الغيوم

[96] - ينظر: روبرت دريفوس، لعبة الشيطان" دور الولايات المتحدة في نشأة التطرف الإسلامي ص 31

العارضة... فإننا لا نرتاب في عودتهم إلى مثل نشأتهم، ونهوضهم إلى مقاضاة الزمان ما سلب منهم "([97]).

فإذا لم يقم النص السابق دليلا على الدعوة لاستحضار الماضي، فإن نصه على أن علاج أمراض الأمة الإسلامية يكون " برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته "([98]) لدليل أقوى على صدق دعوته للتسلف والعودة للماضي، ليس في جانبه الفكري الماضوي فحسب، بل في جوانبه السياسية والأخلاقية أيضا.

ومن المثير للدهشة والعجب والغرابة أن هذه الدعوة إلى التسلف تصطدم ظاهريا بما سجل في خاطرات " جمال الدين الأفغاني " التي تشبر إلى ماسونية الأفغاني بقوله " إذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون، وإذا آلات البناء التي بيدها لم تستعمل لهدم القديم وتشييد معالم حرية صحيحة وإخاء ومساواة وتدك صروح الظلم والعتو والجور فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة "([99])

---

[97] - عزت قرني، تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي ص 241

[98] - عزت قرني، تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي ص 241

[99] - محي الدين اللاذقاني، الماسونية المشرقية – مقال " من جمعية حيدر أباد إلى الشلة الباريسية – ج الشرق الأوسط في 2002/3/21

حيث يبدو فيها دعوته الصريحة للماسون بالتدخل في وضع سياسة الكون، وهدم القديم وتشييد معالم الحرية !!!

ونتساءل : هل تأثر الشيخ محمد عبده ورشيد رضا بأفكار وتوجهات أستاذهما الأفغاني ؟ ربما تحتاج الإجابة إلى قراءة جديدة لنشأة الحركة الإسلامية بتياراتها المتعددة وعلاقة تلك الحركات بالجمعية السرية " العروة الوثقى " التي وضع أساسها الأفغاني قبل قدومه إلى بايس، واعترف بها الشيخ محمد عبده في مكاتبته للأفغاني في 24 ديسمبر 1884م([100]).

ويرى الدكتور " عزت قرني " أن الشيخ محمد عبده رجل الدين والمفكر السياسي والقاضي كان اصلاحيا ومجددا بامتياز تمكنت من روحه فكرتا العدالة والحرية بمعناهما الجامع ([101])، فقد كان إلى جانب عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية( 1845-1896) شعلة نشاط وهما من رواد الدعوة الخالصة للحرية ومقت الظلم، وقد كان محمد عبده طاقة استنارة وإصلاح أقرب ما تكون للإسلام الوسطي التنويري النهضوي، وأرجح الآراء عندي، أنه

---

[100] - ينظر ممدوح الشيخ، السلفيون من الظل إلى قلب المشهد ص 52

[101] - ينظر بالتفصيل : عزت قرني، تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي ص 423 وما بعدها

كان بعيدا كل البعد عن ظاهرة الانحراف بالدين تجاه الأدلجة والتدين حتى وإن كانت السلفية تشكل قاعدة أصوليته الفكرية.

أما " محمد رشيد رضا " فقد كان وفيا لأفكار أستاذه الشيخ محمد عبده، وإن ظهرت معالم سلفية العنف على يد أحد تلاميذه وهو الشيخ حسن البنا، فهل يتحمل رشيد رضا تبعة انحراف تلميذه عن جادة الصواب ؟.

إن التحريض على الإرهاب لم يكن قاصرا على العرب أو المسلمين وحدهم كما يدعي بعض المغرضين، بل إن جذوره في الشرق الأوسط تعود إلى الإرهابيين الصهاينة الذين تربوا في أوربا بمساعدة شخصيات دولية مثل " ريزنهوفر " رئيس منظمة " هيكل القدس " وستانلي جولد فوت العضو البارز في عصابة " شترن " وغيرهما ممن حرضوا على تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة والمجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد الفلسطينيين رجالا ونساء وأطفالا([102]).

وإذا أردنا البحث في جذور ظاهرة العنف السياسي وأصولها التاريخية المعاصرة في المنطقة العربية فلن نجد أقرب من عام 1924 إبان إلغاء دولة الخلافة العثمانية مشفوعا بإعلان علمانية

[102] ينظر : غريس هالسل، النبوءة والسياسة ص 121-122

الدولة والاجتياح الاستعماري الغربي للمنطقة بالتوازي مع نمو الحركات ذات النزعة القومية أو الإسلامية في تركيا والبلاد العربية وتنامي الشعور المعادي للاستعمار الغربي في المنطقة العربية، والذي استخدمت فيه كل من موارد القومية العربية والعاطفة الدينية لتأسيس التيار القومي العروبي من ناحية وما يسمي بجماعات الإسلام السياسي من جهة أخرى، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلين والجماعات التي خرجت من عباءتها وحذت حذوها باستغلال الشعور الديني الجياش في تكوين حركات سياسية تسعى للسلطة المطلقة من خلال إيمانها بامتلاك للحقيقة الدينية المطلقة حصريا.

فبدايات جماعات الإسلام السياسي ( في مصر وإيران وتركيا، والجزائر وباكستان والسودان ) وفي مقدمتها جماعة الإخوان وغيرها تعود– حسب رأي البعض– إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ربما كرد فعل على "الحداثة" التى فرضتها الدول الغربية المحتلة على كل من مصر والشام وبقية العالم العربى، وقد يكون هذا بإيعاز من الدول الاستعمارية، حيث تمت عملية التحديث بوحشية فى جميع البلدان وكانت قاسية حتى على الدول الغربية نفسها، لكنها كانت أكثر قسوة على العرب لأنها

فرضت عليهم ولم يختاروها طوعا، بل سيقوا إليها مرغمين، مما أدي إلى رد فعل عنيف، وكان الإسلام السياسى وجماعاته المتشددة أحد مظاهر رد الفعل العنيف، وقد تسربت أفكار جماعة الإخوان في باديء الأمر عبر بابي الدعوة والمبايعة([103]).

ولم تكشف تلك الجماعة الأيدولوجية عن وجهها السياسي الفعلي إلا بعد عقد كامل اعتنت فيه بالعبادات وملامسة العاطفة الدينية لتثبيت دعائم الجماعة باللوائح والنظم الإدارية الصارمة لبناء تنظيم سياسي قوي يقوم على أساس عقدي يضمن تماسكه ويمنع اختراقه إلا بشق الأنفس.

ومن المعلوم بالضروة أن أحداث الحاضر ليست منبتة الصلة عن الماضي القريب، وسيظل التاريخ شاهدا على أن اتصال حكومة الاحتلال البريطاني بدأت بفتح خطوط الاتصال بالجماعة في بداية مرحلة التحول بقيام أول وزارة دستورية في مصر وكان علي رأسها سعد زغلول باشا، حيث عرض المستشرق البريطاني " هيوارد دان " الدعم المادي على "أحمد

[103] المبايعة مصطلح يقصد به العهد على السمع والطاعة ويقابل هذا المصطلح " التفويض في الأدبيات المعاصرة [ الباحث] وينظر : المعجم الوسيط مادة " بيع "

السكري" شريك "حسن البنا" في تأسيس الجماعة، وقدر هذا الدعم بعشرين ألف جنيه في أواخر عام 1939 ثم عاودت المخابرات البريطانية الكرة مرة أخرى أثناء زيارة كلايتون لـ " حسن البنا " عام 1940 من أجل تمويل جريدة يومية وتجهيز المركز العام للجماعة، ثم قبل حسن البنا دعما قدرة 500 جنيه من مدير شركة القنال " البارون دي بنوا " وطلب البنا زيادتها أسوة بإحدى الكنائس التي بنتها شركة القنال كما ثبت بالوثائق واعترفت قيادات الجماعة به([104]) !!!.

ويشير باحث آخر هو " ريتشارد ميتشل " إلى الاتهامات التي ترددت عن تمويل الجماعة من الإنجليز والأمريكيين في سنوات تأسيسها الأولى، ونوه إلى مصادر تؤكد تلقي الجماعة لمساهمات مالية من شخصيات ومؤسسات سعودية بغرض بناء مساجد وتقديم خدمات صحية وتعليمية ودعوية، وتم تحويلها إلى خزينة الجماعة.

وأشارت تقارير صحفية حديثة- لم يتم التأكد من صحتها- إلى استغلال جماعة الإخوان لتبرعات الشعبين المصري واللبناني لمساعدة أهالي غزة المحاصرين في تمويل أنشطة الجماعة، تلك

[104] ينظر: أحمد بان ، الإخوان المسلمون ومحنة الوطن والدين ص 30

القضية المعروفة بغسيل الأموال الذي اتهم فيها أسامة سليمان عضو تنظيم الإخوان ورفاقه([105]) وإن كنا لا نعول علي تلك القضايا في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل والسياسي بالقانوني والموضوعي بالتلفيقي والإعلامي...الخ.

وعلى عكس آراء بعض الباحثين التي ذهبت إلى أن " حسن البنا " كان رجل دعوة أرى أن أصحاب هذا الرأي إما أنهم لم يقرأوا أدبيات الرجل بعمق أو أن ميل القلوب والانتماء الأيدولوجي تغلب علي الموضوعية والحيدة([106]).

لقد بدأ " حسن البنا " تأسيس الجماعة ولم يغب عنه للحظة ضرورة ربط السياسة بالدين حسب مقال " روزنتال " في مجلة عالم الإسلام أكتوبر 1947وما أورده الباحث " أحمد بان " حيث نسب إليه وضع بذرة فكرة الجماعة بتحريك حمية العمال الستة نحو دينهم ووطنهم([107])، حتى وإن بدت أولى خطواته بالدعوة، إلا أن الانتقال أو الانزلاق من الدعوة إلى السياسة لم يستغرق وقتا طويلا، فقد ظهرت بوادر التهديد باستخدام العنف ( أو ما

---

[105] - لمزيد من التفاصيل ينظر : ياسر ثابت، زمن العائلة ص 40-41

[106] - ينظر : أحمد بان، الإخوان المسلمون ومحنة الوطن والدين ص 23

[107] - ينظر : رفعت السعيد، الصراع بين الإسلام والتأسلم ص 125 : وأحمد بان، الإخوان المسلمون ومحنة الوطن والدين ص 21

يسمى في أدبيات الجماعة بالنضال أو الجهاد ) فيما ورد في افتتاحية مجلة النذير التي وجه فيها " حسن البنا " كلامه إلى المسئولين من قادة البلاد فقال " **سندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم في طريق الإسلام ... فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجأوا إلى المواربة والروغان ... فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها** "([108]).

وهكذا بدأ " حسن البنا " فرض فهمه الخاطيء أو المراوغ المضلل لفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووظفه سياسيا بشن هجوم على ممثلي السلطة السياسية- بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف مع أداء الحكومة القائمة- غير معترف بأن هذا الحق من سلطة الدولة المدنية وأجهزتها ومؤسساتها عبر السلطة القضائية ووفق الدستور والقوانين المنظمة، ولهذا لا يجب نسيان دور" حسن البنا " في فتح الباب أمام استخدام العنف الأصولي لبعض أفراد جماعته وأنصارها بقتل القاضي

[108] حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ص 164

أحمد بك الخازندار ورئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا سواء اتفقنا أو اختلفنا مع آرائهم وسياساتهم؛ فعندما يختفي الحوار والتسامح تظهر رأس أفعي العنف لحل إشكالية انسداد أفق العقل وتحجره.

إذن فقد انتقلت الجماعة بخطاب " حسن البنا " إلى المرحلة الجديدة التي اقتنصت فيها لنفسها سلطة موازية للدولة بتأن وبطء شديدين، في الأسرة والمدرسة والمسجد والعيادة ورعاية الشئون الاجتماعية للفقراء والمعوزين، بل وأخذت تعلو وتتفوق علي سلطة الدولة وأداء مؤسساتها الرسمية وأقصد بها معظم مؤسسات التنشئة الاجتماعية من القاع للقمة.

ففي الوقت الذي كانت تعتمد فيه الجماعة على مبدأ التكافل الاجتماعي، لم يكن هذا التكافل بين الخاصة خالصا لوجه الله، وإنما كان وراءه مصلحة سياسية منتظرة مخالفة بذلك أول مبدإ إسلامي وهو التكافل بين المسلمين ابتغاء مرضاة الله، وألا تعلم يمين المرء ما تنفقه يسراه.

ثم انتقلت بعض قيادات الجماعة وأعضائها إلى مرحلة تسلحت فيها بالعنف لنشر الدعوة السياسية المغلفة بتأويلها وفهمها المنحرف لمقاصد الشريعة الإسلامية، مما أدى إلى اصطدامها

بجميع النظم السياسية بداية من النظام الملكي قبل ثورة 1952، ثم تحالفها قبل اصطدامها مع قيادات الضباط الأحرار في موجتين متتاليتين 1954، و1956، لتعود الجماعات المنبثقة عنها، وهي ذات أيدلوجية دينية مثل( جماعات التكفير والجهاد ) مرة ثانية في أوائل سبعينات القرن الماضي أثناء حكم الرئيس محمد أنور السادات الذي منحهم قبلة الحياة للعودة إلى الحياة السياسية لتخفيف وطأة الضغوط التي تعرض لها بسبب اتفاقية كامب ديفيد من ناحية وتبعات الانفتاح الاقتصادي من ناحية أخري، ومعهم وبهم وبمساعدة غيرهم من دول عربية بذرت الطائفية بذورها المقيتة في الثقافة الشعبية والتي حصدت أرواحا بريئة في مجموعة حوادث ابتدأت بحادث كنيسة الخانكة وانتهت باغتيال السادات نفسه في احتفالات أكتوبر 1981، ولم تتوقف موجات العنف بعد ذلك، واستتمرت الجماعة وروافدها التغيرات الاقتصادية وما يسمى بالانفتاح الاقتصادي الذي تخلت فيه الدولة عن أدوارها الاقتصادية والاجتماعية بعد وفاة عبد الناصر لتتسلم الجماعات الموازية هذا الدور الاقتصادي/ الاجتماعي فأفرخ فيها العنف لثلاثة عقود وتمكن أعضاؤها الذين هاجروا إلى دول عربية منها دول الخليج ودول شرقية وغربية لبناء

امبراطورية اقتصادية خارج حدود البلاد وفي داخلها لتعود الموجة الأخيرة بخطاب سياسي مموه بالوسطية والاعتدال والعمل السياسي المتسربل بالدين حتى تخرج في طبعتها الأخيرة عقب ثورة 25 يناير 2011 لتتحالف مع أعداء الثورة وتذهب إلى أحلام التمكين فتصطدم بزلزال 30 يونيو 2013 الذي تحالفت فيه مؤسسات الدولة– مؤقتا– مع ثوار 25 يناير وفلول نظام مبارك خوفا من الحكم الثيوقراطي للجماعة، وبهذا تحولت أحلام الجماعة في التمكين إلى كابوس حيث تبددت في أعقابها كجماعة عنف مسلح وقلاقل وفوضي وتخريب تواطأت على الثورة وانقلبت على الشعب، لتشرب من نفس الكأس في أعقاب 3 يوليو الذي فتح شهية الإرهاب والثورة المضادة لعمليات انتقام مزدوج لطخ ثياب الوطن بدماء غزيزة، إنها دماء شهداء الوطن والواجب ودماء الأبرياء، ومهما بلغت درجة التعاطف الإنساني مع ضحايا الاعتصامات في كل رابعة([109]) والنهضة والحرس الجمهوري، إلا أننا ندين استخدام العنف في استهداف الضباط

[109] ـ نسبة إلى المنطقة المجاورة لمسجد السيدة رابعة العدوية بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة والتي وقعت فيها أحداث فض اعتصام جماعة الإخوان بالقوة أغسطس عام 2013 وشملت أيضا كلا من ميدان النهضة المقابل لجامعة القاهرة.

والجنود والمدنيين طمعا في الوصول أو التمكين من السلطة والمال تحت ستار الدين والشريعة.

ويشرح عمرو الزنط ( المصري اليوم 12/16/ 2016 ) مأزق الإسلام المعاصر في مقال تحت عنوان " فى أساس مأزق الإسلام المعاصر" ردا علي حديث متواتر وممجوج عن نظرية المؤامرة الدائر في دوائر الحكم والإعلام التعبوي الموجه فيقول إن التفتيش عن المؤامرة لابد أن يبدأ من نظام التعليم بما يعكسه من إفلاس فكري عام.

ويشخص الباحث أحد أهم مواطن داء التطرف(التي لا يمكن تعميمها بالمطلق) في عدم استيعاب طرق المنهج العلمي وروحه، حيث تشير النتائج إلى أن نسبة المنتمين للتيار المتطرف فما يسمى بالكليات العملية عامة أكبر بكثير من النسبة فى الكليات النظرية الآداب والحقوق مثلا. ثم يتساءل لماذا ؟ ويتبع ذلك بقوله أعتقد أن الإجابة كامنة فى نوعية الفكر المعروض على العقل المصرى ومن يتولى أمر عرضه، أي أن البضاعة المعروضة والأشخاص الذين يقومون بتسويق الأفكار المعروضة هما مدخلان من مداخل التطرف الفكري.

وينطلق من أن الالتحاق بالكليات العلمية يعكس بصورة عامة قدرا من «الجدية» والانضباط فى السلوك والصرامة فى التفكير.. وفى مجتمع محافظ مثل مصر، ترتبط هذه الصفات بالالتزام الدينى، ويندرج تحت «الصرامة» فى التفكير محاولة فهم واستنتاج كل شىء عن طبيعة العالم والحياة فيه من أسس بسيطة، ويصل البعض إلى أن ذلك قد يكون ممكنا عن طريق قراءات حرفية للنص الدينى. هذا ما يمكن أن يصل إليه العقل الباحث عن الحقيقة بجدية فى واقع عبثى لا ينتشر فيه البديل العقلانى، حتى فى عقر دار كليات العلوم نفسها.. هكذا، بدلا من تفعيل العقل النقدى، فى سبيل استيعاب الطريقة العلمية لتنظيم المعرفة عن طريق النظرية والتفنيد–عن طريق الصواب والخطأ والبناء من أسفل لأعلى على أساس معلوماتى ومنطقى صلب– بدلا من ذلك، يجنح المرء الباحث عن معنى إلى فكرة إمكانية امتلاك الحقيقة المطلقة عن طريق استنتاجها منطقيا «دفعة واحدة» من القراءة الحرفية للنص.

وإذا كانت مقاصد خالق الكون ومعناها الكامل يمكن الوصول إليها هكذا، دون أى لبس أو تأويل أو تعقيدات فكرية، فيترتب على ذلك أن عدم العمل بشرع الله، والمفهوم هكذا، هو أساس

كل مآسى ومتاعب المرء، ومن ثم تعتبر هذه جريمة فى حق البشر وفى حق خالق البشر، أى أنه فى لب هذا المنهج الصارم والمقتضب فى نفس الوقت، يعد عنفا فكريا، وينتج عنه منطقيا أن كل من يختلف معه يجب إبادته فى سبيل مجرد الدفاع عن الحقيقة والحق.

ويعد هذا المنهج منهجا بدائيا تقليديا رغم صرامته المنطقية وقداسته الظاهرية. فالمجتمعات التقليدية أيضا اتبعت افتراضات أسطورية انبثق عنها منطقيا شرح أحادى، ثابت وجامد، للعالم ولطبيعة المجتمع والأخلاقيات والشرائع وتسلسل السلطة فيه. أما فى المجتمعات التعددية، التى بدأت فى التبلور فى أعقاب الثورة العلمية منذ ثلاثة قرون تقريبا، كانت قائمة على أساس أقوى، نابع عن روح الفكر العلمى: على أنه ليس لأحد حق التسلط باسم أى فكرة؛ لأن السلطة الفكرية والسياسية تنبع من الإقناع العقلانى وليس التسلط والتعالى باسم المطلق.

هكذا يكون كل شىء قابلا للنقد، وفى نفس الوقت تكون أحقية طرح أى فكر، أيا كان هذا الفكر أحقية مصانة، أما فى المجتمعات التقليدية، فالأفكار والمعتقدات السائدة محمية من النقد باسم ازدراء الأديان مثلا، كما أن المعتقدات المغايرة للسائد

قابلة للإهانة، بل ومعرضة للتحقير والعنف، خاصة إذا عملت على ترويج فكرها..لاحظ مثلا أن بعض أعضاء الكاتدرائية قالوا إن الشاب الإرهابى الذي فجر كنيسة طنطا([110]) أتى فى اليوم السابق ليسألهم عن المسيحية. ربما كان يريد التأكد أنهم لديهم الجرأة لطرح طبيعة عقيدتهم على المسلمين، ولا شك أنه كان يرى فى ذلك نوعا من التطاول السافل.

إذن المشكلة ليست مقصورة على المتطرفين وحدهم: بل تشمل الحساسية الزائدة من نقد المفاهيم الإسلامية السائدة، وفى الوقت نفسه قبول استباحة الآخر ومعتقداته، تعتبر فى أساس مشاكل المسلمين وصراعاتهم مع العالم المعاصر التى تفسر على أنها مؤامرة .. بما فى ذلك الصراع الدائر بين جاليات مسلمة عاجزة عن التأقلم فى مجتمعات غربية تعددية، ومن أعراضه الظاهرة والكارثية المجسدة صعود التيارات العنصرية المتطرفة فيها اليمين المتطرف في أمريكا وإنجلترا وربما فرنسا وألمانيا لاحقا.

أما فى مصر، فالمأزق يمكن ترقبه على أعلى مستوى، بما فى ذلك داخل الدولة التى من المفروض أنها تحارب الإرهاب..

[110] تفجير كنيستي مار مرقص ومار جرجس بالإسكندرية وطنطا في وقت واحد مساء الأحد 9 إبريل 2017.

ويضيف الكاتب، أنه ومنذ عشر سنوات بالضبط كتب مقالا عن ( ازدواجية المعايير فى مسألة إهانة المقدسات٩/ ١٢/ ٢٠٠٦ ) يناقش ما نشره رئيس جامعة الأزهر آنذاك بخصوص هجوم بابا الفاتيكان على الإسلام، الذى رد عليه بهجوم حاد على « الكتاب المقدس ».. قلت إن موقفه أكثر « خطورة بمراحل » من موقف البابا، «لأنه عندما تهجم البابا على العقيدة الإسلامية كان يفعل ذلك فى مجتمع تعود فيه الناس على الهجوم العنيف على المعتقدات، فالاتهامات التى وجهها للإسلام كانت قد وجهت مثيلتها مرارا وتكرارا من قبل للعقيدة المسيحية نفسها، بدليل استشهاده خلال مقاله بـ«المؤرخين المنصفين» فى الغرب، الذين اكتشفوا وفضحوا التاريخ الدموى لانتشار الحضارة الغربية المسيحية والدور غير المشرف الذى لعبته العقيدة خلاله».

ويسترسل الكاتب قائلا توقعت آنذاك بسذاجة أنه سيكون هناك توضيح من رئيس أعرق جامعة فى العالم. لكنه لم يحدث؛ لأن هذا النوع من الخطاب صار مقبولا بشكل كاف وحتى لا يستدعى توضيحا. بل إن حد قابليته انعكس فى صعود صاحبه فيما بعد إلى قمة مؤسسة الأزهر.. وهى التى طالب منها رئيس الدولة بتطوير الخطاب الدينى !!!.

العجيب في الأمر أن مؤسسات الحكم العربية ظلت تدور حول مقولة تجديد الخطاب الديني لمقاومة ظاهرة الإرهاب، مع أن الإرهاب ظاهرة لها تفسيرات متعددة([111]) ولا يشغل الفكر الديني منها سوى مساحة محدودة وضيقة، بل إن الخطاب السياسي قد يأتي في المقدمة ثم يأتي بعد ذلك تجديد وتطوير أي شيء وأول شيء ينبغي تطويره هو مرفق التعليم قبل الخطاب أو الفكر الديني، وبما أن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا جدوي من الشعارات الجوفاء التي ظلت تدور منذ عشرات السنين دون تغيير وتطوير إيجابي– يذكر– علي قيم المجتمع وعاداته.

أما الإجابة عن التساؤل الخاص بكيفية مواجهة العنف، فإن ما يلفت نظر المراقبين والباحثين هو أن طرق مواجهة العنف تباينت أثناء نظم الحكم العربية المتتابعة، ولم يكن للعلم دور في أي منها، وظلت فلسفة تدوير ملف التطرف والعنف لاستغلاله سياسيا هي الفلسفة السائدة بينما ظلت معطيات التقدم الاجتماعي والثقافي والإعلامي فريضة غائبة عن الوعي العام، وبقيت الشعوب العربية تدور في مداراتها الفلكية بين القبلية

[111] اقتصادية ونفسية وعضوية بيولوجية وغيرها كما نوضح في التفسير العلمي لظواهر التطرف والعنف والإرهاب

والتعصب والكراهية صعودا وهبوطا حسب محركات البحث السلطوية التي لا يعنيها من تصدير الشعارات سوي الاستهلاك والإلهاء.

" كما أنه ليس في صالح الوصي علي الأيتام أن يبلغ اليتيم رشده، كذلك المستبد ليس في صالحه أن تتعلم الرعية وتتنور " [ طبائع الاستبداد ]

# الفصل الثاني
# القواسم المشتركة بين العولمة والاستبداد والإرهاب